

مؤسسة الشيخ عمي سعيد ثقافــة – تربية – تــراث



رابطة قدماء طلبة المعهد

الذك40-رى لتأسيس معهد عمي سعيد
 □الذك25-رى لتأسيس قسم التخصص في العلوم الإسلامية

لِقاءُ (التواصل والوفاء

لقدماء طلبة معهد عمي سعيد

غرسوا فاكلنا، ونغرس فياكلون·

أيام الثلاثاء إلى الخميس: 6 - 8 شوال 1434هـ / 13-15 أوت 2013م. بمركب عشيرة آل يونس - حي الشواهين - بلغنم - غرداية

دور الوقف في تطوير المشاريع التربوية وضمان استمراريتها

إعداد: بشير بن موسى الحاج موسى

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نسنعين

<u>محخل نمهیدي</u>

يُعد الوقف في الإسلام من الوسائل العملية الناجعة لمنهجه الاقتصادي الفريد، المبنيّ على فلسفته الواعية ونظرته الراقية للمال والاقتصاد، ووسيلة فعالة من وسائل التنمية، وهذا نابع من علم المشرع سبحانه وتعالى بحقيقة النفس البشرية وبحقيقة ما يصلح لها مما سخره لها في هذه الحياة، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخُبِيرُ}، حيث نجد طائفة كبيرة من آيات القرآن الكريم تأمر بالإنفاق وتحث عليه بغرض الانتصار على شح النفس والاستعلاء على شهوة حب المال التي جبل الله عليها النفس البشرية، {وَتُحِبُّونَ المُالَ حُبّاً جَمّاً } أن {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } .

فالإسلام جاء بالعلاج الصحيح لهذه الشهوة وتهذيبها لتكون غريزةً بنّاءة لا هدّامة، وقد ركّز من أجل ذلك على أمرين:

- الأول: وضعُ قيود وضوابط للاكتساب النظيف، وذلك في نهيه عن أكل أموال الناس بالباطل، قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضِ مِّنكُمْ} .
- الثاني: الأمرُ بالإنفاق حتى تتفجر في نفس المنفق مشاعر الرحمة والعطف ويكون المال وسيلة خير في يديه. قال تعالى: {فَاتَقُوا اللهُّ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ} .

1 - الملك: 14.

2 - الفجر: 20.

3 - العاديات: 80.

4 - النساء: 29.

5 - التغابن: 16.

وفي هذا السياق وفي معرض الإشادة بالأنصار الذين احتضنوا إخوانهم المهاجرين من مكة وأغدقوا عليهم من عزّ أموالهم، يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّقُوا الدَّارَ وَالايَهَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مَّمَّا أُوتُوا، وَيُوثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} اللهِ عَلَى اللهِ عَلْ

وقد ضرب الرعيل الأول من الصحابة أروع الأمثلة في الإنفاق من أموالهم في سبيل الله، من ذلك ما روي عن أَبِي طَلْحَةَ الأنصاري ﴿ وَكَانَ ﴿ وَكَانَ ﴾ يَدْخُلُهَا وَيَسْتَظِلُّ فِيهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا، وَلَمَّا نَزَلَ قوله تعالى: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تنفقوا مما تُمبون}، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى النبيء ﴾ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهِ يَقُولُ: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُمِينُونَ}، وَأَنَا أَصُولَ إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ وَإِنَّمَا صَدَقَةٌ للهِ الْمَرْ عَنْفِقُوا مِمَّا وَلُدُ وَلَى اللهِ عَلْمَ أَرَاكُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ عَلْمَ اللهِ وَلَا لَهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وما روي عن أبي الدحداح ﴿ أنه لمَّا نَزَلَ قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَّ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً} وَاللَّهُ عَلَى: فَإِنْ أَقْرَضْت رَبِّي يَضْمَنُ لِي الجُنَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ ... قَالَ: نَاوِلْنِي يَدَك، فَنَاوَلَهُ فَقَالَ: إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ إحْدَاهُمَا وَهُو غَنِيٌّ ؟ قَالَ: نَعَمْ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ الجُنَة، قَالَ: فَإِنْ أَقْرَضْت رَبِّي يَضْمَنُ لِي الجُنَة؟ قَالَ: نَعَمْ يَريدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ الجُنَة، قَالَ: إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ إحْدَاهُمَا لللهِ وَعَلَى اللهُ عَنْ وَاللهُ عُرَيْهُمَا جَعَلْتُهُمَا وَرْضًا للله تَعَالَى، فَقَالَ: اجْعَلْ إحْدَاهُمَا للله عَزْ وَجَلَّ وَاللَّخْرَى مَعِيشَةً لَك إِللَّا فَلَك عَرْهُمَا لللهُ عَنْ مَعْ عَلْدَ عَيْرَهُمَا لللهِ تَعَالَى، وَهُو حَائِطٌ فِيهِ سِتُّ مِائَةٍ نَخْلَةٍ، قَالَ: إِذَنْ يَجْزِيكَ الله لَّ بِهِ الجُنَّة، ثُمَّ قَالَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَلِعِيَالِك، قَالَ: إِذَنْ يَجْزِيكَ الله لَّ بِهِ الجُنَّة، ثُمَّ قَالَ: كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ وَدَادٍ فَيَاحٍ فِي الجُنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ.

وفي هذا الصدد يندرج الوقف في الإسلام كوجه من وجوه الإنفاق يُبتغى به استمرار الأجر لصاحبه، عملا بقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المُوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} ، وقوله الله فيها رواه مسلم صحيحه: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

ونما يدل على ثبوت الوقف ومشروعيته في الإسلام ما روي أن عمر بن الخطاب في نال نصيبا وافرا من أراضي خيبر فعرض على الرسول في أن يتصدق بها، فأشار إليه أن يحبّس أصلها ويسبّل ثمرتها=منفعتها، وقد قيل إن هذا أول وقف في الإسلام، وهذا في الأصول والعقارات. أما وقف المنتقلات فاستدل له أهل العلم بها روي من إشادة النبيء في بعمل خالد بن الوليد، إذ وقف عتادا عسكريا في سبيل الله....

وهكذا عُرف الوقف وانتشر في المجتمع الإسلامي منذ ق 01 هـ لما فتح الله على المسلمين الأراضي الشاسعة وتدفقت عليهم الأموال الطائلة فوقفوا جزءا منها ابتغاء مرضاة الله؛

(وقد انتظم الوقف عمومًا عينًا ونفعًا بعد عصر الخلافة الراشدة، وخصوصًا في العصر الأموي، وقد قام القاضي الحضرمي في عهد هشام بن عبد الملك 87 ه/ 705 م بتنظيم ديوان مستقل للوقف، ثم توسع الأمر وازدهر بإيقاف الأموال على التعليم والثقافة خصوصًا في عهد العباسيين ومن جاء بعدهم.

تنامت ميزانية الأوقاف في كثير من الأوقات حتى أصبحت تنافس ميزانية الدولة، بل وصل الأمر إلى أن تقوم الدولة بالاقتراض من خزينة الوقف، فقد استشار الصالح بن أبي الصبر إمام وقاضي جامع القرويين 888 ه أمير المؤمنين أبا يعقوب يوسف، في تبييض صومعة القرويين وإصلاحها ، فأذن له وأمره أن يأخذ من أموال أعشار الروم، ثم قال له: " إن في مال الأحباس ما فيه كفاية إن شاء الله". بل ولكثرة الأموال الوقفية زاد الاحتياط على حمايتها، فكان المستودع وهو عبارة عن بيت حصين بابه مسلح بالنحاس، وفيه صناديق متينة توضع بداخلها الأموال لتصرف على شؤون المساجد وغيرها من مصاريف الوقف، ولما تطور الأمر وتحسنت أساليبه وتنظمت أموره زاد إعجاب التجار المسلمين به، فالتمسوا وضع أموالهم وإيداعها في هذا المستودع

^{1 -} الحشر: 09.

^{2 -} امحمد بن يوسف اطفيش ، شرح النيل ،

^{3 -} البقرة: 245.

^{4 -} يس: 12.

⁵ - بشير الحاج موسى ، أوقافنا بين الواقع والهأمول ، ص: 02-01

الوقفي. لقد كان للوقف دور بارز في دعم كافة مؤسسات المجتمع المسلم ومرافقه العامة كالمدارس والمساجد والمستشفيات ودور الخدمات العامة وغيرها، بصور مختلفة ومتباينة نوجز المجالات التي لها بالعلم فيها يلى:

المساجد: باعتبارها تمثل مراكز علمية وثقافية في آن واحد، هذا فضلا عن دورها الاجتهاعي والسياسي، ولم يكن المسجد بأي حال من الأحوال مخصصًا للعبادة فقط، وإنها واجهة علمية وثقافية وحضارية في المجتمع الإسلامي.

المدارس: وهذا يتأتى من النظرة الأصلية للعلم وأهميته، وتم تقوية هذا الأمر خصوصًا في الفترة التي انشغلت فيها الأمة بالعالم الخارجي من خلال مجال الدعوة وتبليغ رسالة الإسلام والدفاع عن حياض الديار الإسلامية من الأعداء، فيها يُعرف بالفتوحات، لذا قام أهل الخير بسد هذه الثغرة من خلال الإكثار من زيادة الوقف على مجالات التعليم.

المكتبات: ولتكتمل الصورة المثلى للوقف في تنميته للمجتمع ورفده لحاجاته الأساسية كانت أموال الأوقاف تخصص للمكتبات والزوايا ودور الكتب وغيرها في سبيل إيجاد سياسة عامة تهدف لتكوين جيل مثقف واع)'.

وقد ظهرت منافع الوقف الجليلة وبركاته الكثيرة على الأفراد والجهاعات، بها حقق من التكافل والتراحم، ورفَع من حاجة المعوزين والفقراء، ووفّر من الظروف الملائمة لأبناء المسلمين في مجال حفظ القرآن الكريم ومزاولة مختلف صنوف العلم، وكذا تعميم الثقافة لمختلف الطبقات الاجتهاعية وترقية المجتمع في مجال الصحة والعمران وغيرها....

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن أفضل التعاريف للوقف قولهم: (حبس العين وتسبيل ثمرته)، فهذا أجمع التعاريف، ولعله يشمل كافة أقوال الفقهاء في تعريف الوقف وبيان أحكامه، ومعناه: قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها، ولا يجوز التصرف فيها، في نفس الوقت يحق التصرف بمنافعها وثمرتها.

نبذه عن الأوفلف بوادي مزاب

الوقف في المجتمع المزابي مظهر من مظاهر حضارته المتميزة، وهو من حيث الهدف العام لا يختلف عن غيره من باقي المجتمعات الإسلامية، حيث يُقصد به فعل الخير بنفع الغير لابتغاء الأجر، أما من حيث التطبيق الواقعي فإننا قد نجد فيه من المميزات ما يجعله نموذجا منفردا -إن صح التعبير - بما يختص به من سمات وأنماط.

ومن أنواع الوقف وصنوفه بوادي مزاب:

- 1. الآبار.
- 2. الأواني والفرش.
- الحلي والحلل للعرائس.
- 4. الكتب وأدوات التعلم.
- 5. عقارات لسكن الفقراء وتعليم القرآن ومحو الأمية.
- مرافق عامة، من مساجد ومقابر ودور للعشائر ومحاضر...وما كان على شاكلتها.
 - 7. النخيل وأشجار التين والرمان الحامض (الوقف الصحى).

^{1 -} د/ سامي الصلاحات ، دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية ، ص: 03 ، بتصرف.

8. آلات النسيج المنزلي ... وغيرها.

وترمي هذه الأوقاف في غالبها إلى ترسيخ قيم التعاون على البر والتقوى والتكافل الاجتهاعي بها يؤدي إلى تحصين المجتمع من الانسلاخ والفساد وعدم الاستقرار، ومن تلك المرامى:

- محاربة الفقر والاحتياج.
- محاربة الجهل والأمية بتعميم العلم وجعله في متناول أكبر شريحة من المجتمع.
- تأمين المنافع العامة والحاجات الضرورية مثل: التعليم، الماء الشروب، توفير المرافق العامة وصيانتها، خاصة مؤسسة المسجد وما تحظى به من أوقاف كثيرة ومتنوعة....
 - تأمين الحاجات الاجتماعية المتعلقة بشؤون المرأة والزواج بتوفير كل ما يحقق السير الحسن لهذه الشؤون.
 - صيانة وتجديد الأوقاف القديمة...
- ترقية مؤسسات النظام الاجتماعي ودعمها لتؤدي دورها على وجه أحسن وأكمل، مثل العشائر التي تقوم أساسا برعاية أبنائها من الأيتام والأرامل وذوي الحاجات الخاصة، ومثل المحاضر التي تقوم بدور الإغاثة والرقابة الأمنية على البلد.
 - توفير المرافق العامة الضرورية وصيانتها من مساجد ومصليات ومقابر ومدارس ودور الأعراس وحتى بيوت للخلاء ... وغيرها.

من أشهر مظاهر الوقف بوادي مزاب ما يقوم به جلّ سكانه باستحسان واستساغة وطواعية وقف الطعام والتمر، وهذا أمر قديم متأصل ولقرون عديدة، حتى أنه تحول إلى نظام عرفي له مصداقيته وقوانين تسييره، وهو ما يُعرف بنظام "أتنوبه"، ويمكن تصويره في نقطتين:

1/ وقف الناس لعراجين في نخيلهم لسبيل من سبل الأجر والبر، كالفقراء والمساكين، والمسجد والعشيرة، وللمتعلمين، ولإصلاح شأن بعض الأوقاف=الصيانة والتجديد، كالآبار وكتب العلم، وأواني الوقف، وقد يكون ذلك مختصا بتوقيت معين ولطائفة معينة، كالفقراء في ليالي الجمعة، وكعمار المسجد في صلاة الصبح مثلا،... وغير ذلك من سبل الخير ووجوه الأجر مما يصعب حصره.

2/ تعليق الناس لصدقات دورية سنوية في عقاراتهم على شاكلة الأوقاف، تكون ثابتة فيها، يتولى أمرها وإخراجها كلّ من آلت إليه تلك العقارات بالإرث أو الشراء أو الهبة. وهي مقدار من بُرّ يُصنع خبزا أو طعاما بسمن على مقادير معينة حسب الأمداد، بمكاييل خاصة، وفي الغالب يكون بمقدار الطعام نصيب من لحم بمقادير خاصة.

وهذه الأوقاف تُعلق بالعقارات، وغالبها ينفذ في جمعات معينة من فصل الشتاء في مقابر معينة لقراء القرآن حسب ما ينص عليه الواقف، وفي الغالب يقفها في المقبرة التي يُدفن فيها، أو التي دفن فيها أحد والديه أو كلاهما.

وهذه الأوقاف بمختلف أنواعها وأشكالها تدل على خاصية التكافل الاجتهاعي في المجتمع المزابي، فأفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم يشاركون في صناعة هذا التكافل وليس ذلك خاصا بالأغنياء فحسب، بل يساهم كل بها يستطيعه ولو بعرجون من تمر في نخلته أو مقدار من طعام، كنموذج لأقل مساهمة.

أما أهداف هذا النظام الوقفي فتتلخص في:

- الرغبة في نيل أجر الرفع من شأن كلام الله وتشجيع قرائه وحملته وتشجيعهم لشرف ما حازوه من خير القرآن.
 - 2. الرغبة في نيل أجر الإحسان إلى الفقراء والمحتاجين وسد جوعة ذوي المسغبة.
- القصد لإهداء أجر الإنفاق في الإطعام لأحد الوالدين أو كليهما برا بهما، ولغيرهما من الأقارب وعامة من صلح من أموات المسلمين قربة
 وإحسانا.

[.] بالحاج قشار ، عوائد مزاب سنن لا تقاليد ، ص: 91 ، بتصرف.

[.] لمزيد الاطلاع على أنواع هذه الأوقاف بوادي مزاب وأهدافها ، ينظر: يوسف الحاج سعيد ، تاريخ بني مزاب ،ص: 124.

دور الوفف وأثره في الحضارة الإسلامية

يزخر التاريخ الإسلامي بصفحات مشرقة من الإنجازات الجادة التي أثرت إيجابيا في الحياة الاجتهاعية والثقافية للمسلمين، وقد أدى تراكمُ تلك الإنجازات وتطويرُها إلى صناعة حضارة حقيقية تميزت عن باقي الأمم والثقافات، وكانت الجهة الممولة في الغالب لتلك الإنجازات والمشاريع هي الأوقاف الإسلامية. ولعل الذي يبرز دور الوقف وأثره في الحضارة الإسلامية ما يلي:

- 1. وقف الدُور والأراضي لبناء المساجد وصيانتها، ورعاية مؤطري المساجد من الأئمة والوعاظ والعمار، ومن ذلك أنواع كثيرة من الأوقاف بوادي
 مزاب، كالأوقاف الخاصة لحلقة العزابة، والأوقاف الخاصة للتلاميذ (إروان)، وأوقاف أخرى لعمار المسجد في السحر مثلا وغير ذلك.
- 2. وقف الدور والأراضي لصالح علاج المرضى من المسلمين، وتسبيل أوقاف واسعة لإنشاء المستشفيات، وتطوير الطب والصيدلة والعلوم الأخرى المرتبطة بالطب.
- ومثال ذلك الأوقاف التي رصدت للمستشفى المنصوري الذي أنشئ سنة 286هـ لعلاج المرضى، وقد خصص لكل مريض فراش كامل، وعين
 له الأطباء والصيادلة والخدم، كها زود بمطبخ كبير، وألحقت به مدرسة للطب يجلس فيها رئيس الأطباء لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة.
- كما أوقف السلطان قلاوون مستشفى آخر في القاهرة لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء والفقراء على اختلاف أجناسهم وتباين
 أمراضهم. ويصرف الناظر من ربع هذا الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من سرر أو لحف.
- ق. وللأوقاف إسهام في الجانب العسكري والأمني، حيث رصدت أوقاف لحراسة الحدود والدفاع عن ديار الإسلام، ومن ذلك أن حدود المسلمين مع الروم كان بها مائة ألف فارس، وكانت في المدن الحدودية ديار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها إذا وردوها، وتكثر لديهم الصلات، وترد عليهم الأموال.
- 4. عناية الوقف بالجوانب الاجتهاعية لأفراد المجتمع، وبالأخص رعاية الأيتام، فالأمر الشرعي يدعو إلى الإحسان إليه وعدم قهره أو نهره. ومن الشواهد على ذلك الأوقاف التي ترجع إلى عصر سلاطين الماليك ليكسى منها كل يتيم في فصل الصيف قميصاً ولباساً وقبعة ونعلاً، وفي الشتاء مثل ذلك ويزاد في الشتاء جبة محشوة بالقطن، ومثالها أوقاف لتعليم الأيتام بالكتاب، وفي عهد صلاح الدين كان للصبيان الأيتام وقف كبير يأخذ منه المعلم ما يقوم به، وينفق منه عليهم ما يقوم بكسوتهم.
- 5. ومن الأوقاف ما كان لإنشاء الطرق والآبار ومحطات المياه والخانات والمقابر والجسور والقلاع والأنهار، والسبل بين الحارات لتقديم الماء البارد
 خاصة في مناطق الازدحام فيها.
- 6. ومن الأوقاف ما كان خاصا للعناية بالمكفوفين، فقد وقف المحسنون عدة وقوف لفائدتهم، وخصصوا من يعلمهم القراءة والكتابة والعلوم المختلفة، ونتيجة لذلك فقد نبغ كثير من أعلام الفكر والأدب الذين جعلوا البصيرة تفوق الباصرة، وهم مكفوفون كأبي العلاء المعري وأبي الحسن الآمدي وابن هشام النحوي والشاطبي والإمام السالمي العماني والحاج صالح لعلي اليسجني والشيخ يوسف بن بكير حمو وعلي وغيرهم من علماء الأمة الإسلامية.
 - 7. ومن الجدير بالذكر توسع رقعة الوقف في بعض العصور لتشمل جوانب كمالية وثانوية إن صح هذا الاعتبار، ومثاله ما يُذكر من:
 - تخصيص بيوت للنساء الغاضبات من أزواجهن.
- ما عُرف بوقف الزبادي للأولاد الذين يكسرون ما يحملون من أواني وهم في طريقهم إلى البيت، فيأتون إلى هذه المؤسسة الوقفية، ليأخذوا أواني جديدة بدلا من المكسورة، ليرجعوا إلى أهليهم وكأنهم لم يصنعوا شيئًا.

الأوقاف الموجهة لعلاج الحيوانات المريضة أو لإطعامها أو لرعيها حين عجزها 1.

يقول د/ عبد الله المعيلي:

وفرت الأوقاف للمجتمع المسلم موارد ماليةً كبيرة، قد تعجز الدول آنذاك عن توفيرها، كها أن هذه الموارد اتسمت بالثبات إلى حد بعيد، مما مكن من التخطيط والعمل المستمر الذي لا يتأثر بالمتغيرات الأخرى.

كل هذا يدلنا على مدى ما بلغه المجتمع الإسلامي من تقدم في الفكر وسمو في العاطفة ونبل في الأخلاق، ومن ثم فإن مجتمعاً هذه حاله لا يمكن أن تنتشر فيه الفاقة أو الاستغلال المادي بين أفراده، لأن الدافع الذي يجعل الإنسان يوقف أمواله لإخوانه المسلمين يمنعه من أن يستغل فقرهم وعوزهم.

ومما تقدم ندرك مدى ما أسهم به الوقف في جميع المجالات التي تهم أفراد المجتمع الإسلامي، مما جعله من الأسباب التي قامت عليها حضارتنا الإسلامية².

حور الوفف في دعم النعليم فحيما

العلم والتعليم من أكبر القطاعات التي استفادت من الأوقاف في تاريخ الحضارة الإسلامية، ولا شك أن هذا نابع من اهتهام الدين الإسلامي بالعلم والتعليم، كما يدل عليه الأمر الإلهي في مستهل الكتاب العزيز، في قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم}.

كانت بدايات الوقف التعليمي والثقافي في المجتمع الإسلامي غالبا عن طريق المساجد والكتاتيب بصورة بدائية بسيطة، نظرًا لمحدودية الأدوات والإمكانات في الزمان الإسلامي الأول، وكانت الانطلاقة من باحات المساجد وأروقتها وبعض مرافقها، كما هو الحال في نظام المحاضر بمساجد قرى وادي مزاب، ثم تطور الأمر إلى الكليات المتخصصة عن طريق النظم التعليمية التي ابتكرها المسلمون واعتمدوها في مشاريعهم التعليمية، وكل ذلك بحسب مسيرة تطور العلوم عند المسلمين.

ولعله من الأفيد أن ننقل للقارئ الكريم ما قاله د/ سامي الصلاحات عن مسيرة الوقف الإسلامي مع مؤسسات التعليم فكلامه مركز ومن صميم الموضوع، وقد اقتصر على مؤسستين بارزتين في المجتمع الإسلامي، لها علاقة وطيدة بصلب موضوعنا، وهما مؤسسة التعليم ومؤسسة الثقافة في نظره، فمؤسسة التعليم هي المدارس والمعاهد، ومؤسسة الثقافة هي المكتبات ودور الكتب.

يقول عن مؤسسات التعليم: المدارس والمعاهد

بدأ الوقف مسيرته التنموية بدعم مؤسسات التعليم في المجتمع الإسلامي عن طريق المساجد والكتاتيب بصورة بدائية نظرًا لمحدودية الأدوات والإمكانات في ذلك الزمان، وكانت الانطلاقة من باحات المسجد وأروقته، والمسلم مجلسه العلمي كان مسجده.

ومن يتمعن في أساسيات انطلاقة فنون العلوم الشرعية كقراءة القرآن ودراسة الحديث والفقه يجد أن أساس مكانه هو المسجد، وقد اشتهرت الكثير من العلماء من ساحات هذه من المساجد على مدار التاريخ الإسلامي بأنها قلاع علمية كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وقد تخرج الكثير من العلماء من ساحات هذه المساجد. فالشافعي 204 ه عندما بدأ يفتي للناس ويعلمهم الدروس كان هذا في الحرم المكي، والجويني 478 ه الذي يسمي لاحقًا بإمام الحرمين لملازمته الحرمين، والزخشري 38 5ه الذي يلقب بجار الله لاعتكافه في المسجد الحرام مدة طويلة تخرج على يديه الكثير.

¹ - د/ سامي الصلاحات ، دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية ، ص: 03

^{2 -} د/ عبد الله بن عبد العزيز المعيلي ، دور الوقف في العملية التعليمية ، ص: 03 ، بتصرف.

وكانت تسمى المدارسات التي تُعقد بالمسجد باسم الجلسات أو الحلقات وهو اجتماع التلاميذ حول الشيخ في المسجد، وكل حلقة كان يدرس فيها علم معين كالفقه أو التفسير أو النحو، كحلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأوقات هذه الحلقات أو الجلسات حسب اتفاق المدرس مع تلاميذه، لكن غالبًا ما كانت تعقد متلازمة مع أوقات الصلوات.

ونظرًا لزخم المادة العلمية المقدمة في هذه المساجد، أصبحت تسمى الأخيرة بأسهاء مدرسيها، فقد كان المسجد الواقع في طريق سفرون ببغداد يسمى باسمه الشافعي 204ه، والمسجد عبد الله بن المبارك 181 ه، وكان الكثير من المدرسين في بدايات الحياة العلمية عند المسلمين يقيم في المسجد أو بجواره.

وتطور الأمر رويدًا رويدًا، حتى أصبحت المساجد تضم في مساحاتها مدارس للتعليم، ففي دمشق كان الكثير من المدارس التي أقيمت في داخلها مساجد أو العكس.

أي انتقل التعليم الإسلامي من المسجد وهو المرحلة الأولى، ولظروف المسجد الخاصة والقيود الشرعية عليه، والتي حالت دون تكيفه مع متطلبات العملية التعليمية المتأخرة، وخصوصًا أن الغاية والأساس الأول منه العبادة.

ثم تطور الأمر تدريجيًا، حتى أقيم ما عرف لاحقًا باسم "الخان"، - وهذه المرحلة الثانية -وهو ما يعرف في عصرنا بالداخلية، يأوي إليها طلبة العلم القادمين للتعلم، وكانت أغلب الخانات تدار بأموال الوقف التي أوقفت للتعليم، وغالبًا ما تقابل المسجد أو المدرسة، كما فعل تاجر ميسور سجستاني 135ه بوقف خان لطلبة العلم الشافعية استمر حتى 521 ه/ 1127 م.

ومن هذا القبيل وِكَالَةُ الجاموس (وهو مُصْطَلَحٌ مُرَادِفٌ في معناه للفُنْدُقِ أو الحَان ، شاعَ استعهالُه في مِصْرَ خاصَّةً للمكان الذي يكون مأوى للتُجَّار المسافرين وتحُزْنًا لبضاعتهم) . وهي تسمية لِدَارٍ قُرْبَ جامِعٍ أَحْمَدَ بن طولون بالقاهرة كانت مسكنًا للإباضية المغاربة (الجِرْبِيِّينَ منهم خاصَّةً) الوافدين إلى مصر ، ومخزنًا لِسِلَعِهِمْ ، وتعَدَّتْ دَوْرَها التجاري إلى دَوْرٍ ثَقَافِيٍّ أَبْرَزَ ؛ إذْ أصبحتْ مأوىً لطلبة العلم ومقرًّا للكُتُبِ الموقوفة عليهم ، وصار دَخْلُ كِرَائِهَا يرجع لفقراء الطلبة ، وخَرَّجَتْ عبر ما يزيد عن أربعة قرون جَمْعًا غفيرًا من أهل العلم .

وقد تطورت هذه الخانات لاحقًا إلى ما يسمى بالمجمع وهو مكان تواجد المسجد مع الخان، الذي انتشر على نطاق واسع في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلاد في بغداد ومكة وسجستان، وكانت تقدم في هذه الخانات كل الخدمات للطلبة، كها أن بعض هذه الأوقاف شملت المعالجة الطبية والملابس كها حدث في بعض المدارس الموقوفة في القدس. قال العلامة ابن خلدون (ت 808هـ): (ووجود الإعانة لطالب العلم بالجراية من الأوقاف).

وفي مرحلة لاحقة وهي استقلالية المدرسة، وغالبًا ما بدأت تظهر المدارس – أو ما يسمى في اصطلاحنا الحديث بالكليات وذلك بعد إقامة المدرسة النظامية ببغداد سنة 459 ه/ 1067 م.

ومع تقدم الأمة الإسلامية ورقي حضارتها بدأت في القرن6 ه/ 12 م تنتشر المعاهد والمدارس الأهلية أي التي كانت قائمة على الأهالي والأوقاف بقدر كبير – غير خاضعة لمؤسسة الدولة، وغالبًا ما كانت توقف هذه المدارس بالقرب من المساجد، مثل دور القرآن ودور الحديث والرباط أو الزوايا، وغيرها من الأسهاء.

ويذكر ابن بطوطة 779 ه/ 1377 م خلال ترحاله وسيره في بلاد الشام والعراق أن العشرات من المدارس ذات المستوى الابتدائي والعالي كانت قائمة على أموال الوقف، وأن الأموال الموقوفة قد فاضت على الطلبة المنتسبين لها حتى أن الرحالة العربي المشهور ابن جبير حرض قي رحلته أبناء الغرب الإسلامي للذهاب إلى بلاد الشرق الإسلامي - وخصوصًا مراكز الحواضر كدمشق التي كان فيها وقت زيارته لها 400 مدرسة موقوفة - كي ينعموا

^{1 -} ينظر: رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ص 52 فما بعدها. (عن سلطان الشيباني ، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير ، ص:30).

بالكثير من الامتيازات والمنح المتوفرة في المشرق، خصوصًا وأن نظام الوقف في بلاد المشرق الإسلامي قد تطور واتسع ليشمل جميع قطاعات وفئات المجتمع آنذاك.

يذكر ابن حوقل أن في مدينة صقلية ثلاثهائة كتاب، وأن الكتّاب الواحد يتسع للمئات أو الآلاف من الطلبة، ومثاله يذكره أبو القاسم البلخي أن له كتابًا يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان كُتابه فسيحًا جدًا بحيث يحتاج إلى أن يركب حمارًا ليتردد بين طلابه، وهذا كله من أموال الوقف.

غير أنه ومع تقدم مقدار الوقف المنصب على التعليم والثقافة في ديار المسلمين، ومع تسابق المحسنين على جذب أبناء المسلمين إلى مراكزهم الوقفية التعليمية، بدأت تُصرف إلى المدرسين رواتب نظير عملهم، بل كان الأمر يصل إلى تخصيص ميزانية للمصاريف التي يتكبدها المدرس خلال تنقله. وسفره، وتخصيص ملابس خاصة لهم، بل وحسب شروط الواقف يصرف للمعلم راتبه الشهري سواء كان هناك طلاب أو لم يكن.

وعلى المدار التاريخي لرقي حضارة المسلمين وتطور علومهم الشرعية والتطبيقية، استوجب الأمر أن تنمو معهم مؤسساتهم الوقفية التعليمية، فانتهى الأمر لتنقلب أمور المدارس وبيوت إيواء العلماء إلى جامعات خاصة، خصوصًا في مراكز الحضارة الإسلامية في دمشق وبغداد والحجاز ومصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

ولعل المدرسة المستنصرية التي أنشأت عام 31 6 ه قد أخذت أول طابع لمؤسسة جامعية إسلامية قائمة على مال الوقف، حيث تدرس فيها العلوم الشرعية والطبيعية والرياضية وغير ذلك.

وقريب منها المدرسة النظامية ببغداد 459 ه/ 1067 / م، التي كان مدرسها الأول أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، التي خرّجت فحول العلماء خصوصًا ما بين القرن الخامس والتاسع الهجري.

قال الدكتور: وليس من المبالغة أن نقول إن هذه المدرسة كانت شعلة انطلاقة بناء المدارس والمعاهد فيها بعد، خصوصًا على يد الحكام والأغنياء الذين أوقفوا الكثير من أموالهم وعقاراتهم للمدارس بعدما رؤوا النجاح الباهر الذي حظيت به المدرسة النظامية، مثال ذلك المدرسة النورية في الشام، والتي أنشأها نور الدين محمود زنكي عام 563 ه، والمدرسة الناصرية في مصر 566 ه نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين، وغيرهم الكثير.

ففي بغداد أقيمت المدرسة المعتصمية قرب الأعظمية، رعتها أم رابعة حفيدة المعتصم العباسي، التي أوقفت كل ما تملك لها.

وامتازت بغداد منذ أواسط القرن الخامس الهجري بعدد من المعاهد والمدارس الكبرى المستقلة عن الجوامع، وقد كانت في ازدياد مطرد حتى سقوط بغداد بيد المغول في سنة 656ه 812 / م، فقد كانت مدارسها يومئذ ثهان وثلاثين مدرسة، علاوَّة على عدد هائل من دور القرآن والحديث، وحلقات المساجد والكتاتيب، والرباطات وغيرها من مجالس العلم والدراسة .

وفي مصر بُنيت مدارس شرعية وقفية - قريبة من النظام الجامعي - مثل المدرسة الصالحية الوقفية، أقامها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641 ه، وهي أول مدرسة المنصورية التي أنشائها المنصور بن قلاوون عام 833 ه، وأوقف عليها الكثير من الحوانيت.

ولقد اشتهر الوقف التعليمي الثقافي في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي— بعد سقوط الدولة الفاطمية— والذي أوقف الكثير من الأراضي الزراعية والمباني والعقارات للمدارس ودور الكتب والمجالس العلمية كما يذكر ذلك ابن خلدون 808 ه عند زيارته للقاهرة، حتى أصبحت القاهرة محطة علمية لطلبة المسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية يقصدونها لكثرة الأوقاف المخصصة للتعليم.

بل ما زال جامع الأزهر - الذي بني عام 359 ه/ 970 م، وافتتح بعد عامين على يد الفاطميين - المؤسسة الإسلامية العريقة التي يتوافد إليها معظم طلبة العالم الإسلامي، ما زال يعطى لكثير من طلبة العلم راتبًا شهريًا مع دراسة مجانية بفضل ريع الوقف المخصص للطلبة.

وفي الشام كثرت الأوقاف، حتى قال ابن بطوطة 779 ه عند زيارته دمشق: "والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها".

¹⁻ يقول ابن جبير في رحلته: "والبلاد الشرقية كلها على هذا الرسم ، لكن الاحتفال بهذه البلدة - يعني دمشق - أكثر والاتساع أوجد ، فهن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة ، وهو أكبر الأعوان وأهمها". د/ سامي الصلاحات ، دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية ، ص: 03.

وفي مكة المكرمة أوقفت الكثير من المدارس، منها مدرسة الأرسوفي نسبَّة إلى عبد الله الأرسوفي، التي أنشأت عام 571 ه، ومدرسة الزنجبيلي 883 ه أنشأها الأمير فخر الدين الزنجبيلي – زنجبيلة من قرى دمشق، وأوقف المنصور غياث الدين المدرسة الغياثية عام 813 ه، وجعل عليها أموالا كثيرة.

كما فعل السلطان قايتباى بمدرسته الكبيرة التي افتتحت عام 884 ه، وضمت الكثير من الأموال الوقفية خدمَّة لروادها وطلبتها .وفي عام 927 ه أوقف السلطان سليمان القانوني أموا لا طائلة على المدرسة لتدريس المذاهب الأربعة.

لذا يمكن القول أن أغلب هذه المؤسسات الجامعية - فضلا عن المدارس والكتاتيب قائمة بالدرجة الأولى على ما خصص لها من مال الأوقاف والأهالي والخيرات الشعبية لعموم المسلمين.

ومحليا بوادي مزاب نشأت المدرسة التعليمية الوقفية المعروفة بدار التلاميذ (نظام) أنشأها الشيخ عمي سعيد الجربي(ت 927هـ) بغرداية حين استقر بها، ولها فروع على نفس النظام في بعض القصور الأخرى، كالعطف ومليكة، وهي تعنى بتدريس علوم الشريعة واللغة العربية، وأوقفت في كل منها كتب، وأحباس من النخيل لصالح الطلبة والمدرسين.

يلحظ أن المال الوقفي قد صاحب هذه المراحل الثلاث لتطور المؤسسة التعليمية في الإسلام، المسجد ثم مجمع المسجد الخان، فالمدرسة وما شابهها من معاهد تعليمية.

في ظل هذه الأجواء المفعمة بالحرية العلمية، والاستقلالية من أي نفوذ أو تأثير خصوصًا من السلطات الحاكمة كالخلفاء والأمراء والولاة والأعوان، بدأت تزدهر صفحات العلماء المستقلين والمعتمدين على علمهم من دون ضغوط أو قيود، مما أتاح لهم الدخول بقوة على الواقع المعيشي، والعمل على إصلاحه وتهذيبه في ظل دولة ترفع شعار الإسلام، وتأمر بتطبيقه، مما جعل حركتهم مستمرة ومناهجهم مثمرة.

كما يحسن الإشارة في هذا المقام إلى أن بعض السلاطين والملوك كان لهم دور بارز في تنمية مجالات التعليم والثقافة من خلال المال الوقفي، مما دعم موقف الفقهاء والعلماء في هذا الشأن، مثال ذلك الدور البازر لصلاح الدين الأيوبي في دعم المشاريع التعليمية في عصره، واتساع ذلك عند السلجوقيين فيها بعد، ونشر هذا السلوك الحضاري بين المسلمين 1.

مؤسسة الثقافة: المكتبات ودور الكتب

يمثل تطور المكتبات محطّة هامّة في الحياة الثقافية الإسلامية على مدار التاريخ، ولا يتصور أن تكون هناك حضارة إسلامية بدون وجود دار معرفة وثقافة أطلق عليها اسم المكتبة أو الرباط أو الزاوية أو دار الكتب.

ويمكن القول إن المكتبات أنشأت مع تأسيس المساجد والمدارس والزوايا، والتي غالبًا ما كانت تحتوي على مصاحف وألواح مكتو ب عليها أحاديث الرسول الله الشروح وتعليقات العلماء والشيوخ.

وعادَّة تقسم المكتبات إلى :

أ مكتبات عامة: يشرف عليها الخلفاء والأمراء وتُلحق بالمساجد والمدارس، وتكون لها أبنية خاصة، تشمل الحجرات والغرف الخاصة لفنون العلم، وأخرى للخدمات والترتيبات الإدارية. مثال ذلك مكتبة المدرسة النظامية التي كان أمينها الأسفرايني أحد علماء زمانه، ومكتبة مدرسة أبي حنيفة ببغداد، ومكتبة الخلفاء الفاطميين في القاهرة، ودار الحكمة بالقاهرة، وبيت الحكمة ببغداد، ومكتبة الحكم بالأندلس، ومكتبة قرطبة التي أشرف عليها الأمويون إبان الحكم الرستمي.

ومن أبرز المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي، مكتبة بنو عهار، في الشام، إذ كان بها 180 ناسخًا، وبلغ عدد كتبها مليون كتاب. وأغلب هذه المكتبات كانت قائمة على الوقف، أو مستفيدة منه في بعض صوره.

^{1 -} د/ سامي الصلاحات ، دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية ، ص: 04 ، بتصرف واختصار.

ب. مكتبات خاصة: وغالبًا ما تعود ملكيتها لأفراد أو هيئات خاصة، مثل مكتبة الفتح بن خاقان 247 ه، له مكتبة واسعة أشرف عليها علي بن المنجم، ومكتبة القاضي أبو المطرف 402 ه قاضي الجهاعة بقرطبة، الذي كان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وعندما توفي اجتمع أهل قرطبة عامًا كاملا لبيع كتبه في مسجده، ومكتبة ابن الخشاب 567 ه، ومكتبة جمال الدين القفطي 646 ه، الذي جمع من الكتب ما لا يوصف، وغيرها من كتب الأفراد والجهاعات الصغيرة، وغالبًا ما تصرف هذه المكتبات الخاصة بعد موت أصحابها بوقفها لطلبة العلم أو توزيعها على المدارس والجوامع، أو المكتبات العامة كها فعل محب الدين النجار الذي أوقف كتبه للمدرسة النظامية.

ولأجل ذلك، قامت الكثير من المكتبات ودور الكتب على الوقف وأموال الأهالي كها قامت المدارس ودور العلم، وألحق بالوقف كل ما يتصل بالمكتبة من حاجيات وأدوات، كالنسخ والأوراق وأجرة العاملين بالمكتبات، بل وصل الأمر إلى جعل غرف للضيافة داخل المكتبات للباحثين والطلبة . ففي دار العلم المملوكة لجعفر الموصلي، كانت الكتب موقوفة لطالب العلم، لا يمنع أحد من دخولها، إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسرًا أعطاهما يوسع عليه.

وكان الكثير من الواقفين من يمنع خروج الكتاب خارج المكتبة خوفًا من ضياعه أوتلفه، وحتى يستفيد منه عامة الناس، بل حرم من الاطلاع الداخلي من عرف عنهم التفريط في استخدام الكتب.

... وليس جزافًا أن نقول إن الوقف على المكتبات وخزائن الكتب قد ساعد على تنمية الحياة العلمية والفكرية للمسلمين،... ووصل الأمر، إلى أن تُبنى مكتبات ضخمة مليئة بالكتب ومصنفات العلم صارت منارات لطلبة العلم والباحثين، بل وإلى الشيوخ والعلماء، حتى وصل الأمر إلى أن تكون هذه المكتبات محطات ومراكز علمية.... وأصبح أمر إيقاف المكتبات إلى العلماء أنفسهم، إذ أن الكثير منهم صار يرمي قبل موته إلى جعل مكتبته الخاصة وقفًا على طلبة العلم ورواد المساجد، وذهب البعض الآخر من المحسنين إلى صرف رواتب لطلبة العلم والباحثين والعاملين بالمكتبة.

بل ولكثرة المكتبات ودور الثقافة في المجتمع الإسلامي، انتشر العلم بين الجهاهير وعموم الناس، حتى كان من بين العلهاء الكبار من كانت مهنته بوابًا للمكتبة كها هو حال أحمد بن أبي بكر بن على أحد علهاء دمشق، وأبو الثناء بن أبي السعادات بواب باب الدمامات ببغداد.

لقد أعطت المكتبات المدعومة بالمال الوقفي مددا للعلماء والباحثين في طرق تعاملهم مع النصوص الشرعية بحرية واستقلال، وشكلت لكل عالم وباحث أتباعًا وأنصارًا بحسب كفاءة منهجه وأسلوبه.

كما ساعدت أيضًا طبقات المجتمع الأخرى على الاستفادة من هذا الجو العلمي الحر من التأهيل والمشاركة في عملية الإصلاح داخل المجتمع.

ولم يكن هذا المال الوقفي خاصًا بفئة دون أخرى، بل جاء لطبقات المجتمع ككل، وخاصة طبقة الفقراء والمحتاجين، الذين استفادوا من الأموال الوقفية خير استفادة، وكونوا لحمة متينة للمجتمع.

وبالتالي حافظ المال الوقفي على نشر العلم والتعلم بين طبقات المجتمع بكل فئاته وقطاعاته، كها شد من أزر المجتمع وتماسكه البنيوي .مقابل ذلك كله، ساعد المال الوقفي في تنمية موارد الدولة الإسلامية، وخصوصًا البشرية منها، بتخريج كوادر متعلمة تملأ الوظائف الشاغرة في الدولة، من خلال مؤسسات وقفية رائدة مثلت قلعات شامخة على مدار التاريخ الإنساني، - كها هو الحال في جامع الأزهر أيام الفاطميين ومن جاء بعدهم - أي أن دور الوقف تعليمي واجتهاعي وتنموي معًا.

نماذج من وثائق الأوفاف النعليمية بوادي مزاب

تقييد وقفى على غلاف مخطوط



تقييد يفيد خبيس عرجون لصيانة كتب وقفية



عقد خبیس مکتبة مع أواني وخيل المسهالله الرحمة الموالية وطرالله وسلم وارك عالم الله وهو وطوا الموصية ولكتابة لونه المقوم وطرفا المستخد والمستخدمة المواجعة المستخدمة المواجعة المستخدمة المواجعة المستخدمة المواجعة المستخدات والمستخدمة المواجعة المستخدمة المواجعة المستخدمة المستخدمة والمستخدمة و

إيفاعل فيبرق رجلك ولكراجدها دورمرا كعساء (رابعج واوصن بنصورا كناع عابة الوجست النيخ الاعمال الرويرة والزابد للغاء و حيج الكنب الي لمامع صدوفيز المعريز كم والدالكتابة كالأفلام والداوات والألو كلم لسيبل الاج لعن في اوهوبيد إنها المذكور وإساز - الانتجاع الورنة مع الوكيل مزايو وتكرولدلما معنان و فرعة لزوجة اسما وكذ الكرائ اواخت لما وكذ الكرولد لاولادها مناولحكومتعلونع مالهاء الدار ووكلت عارتفاخ هاعمنا بحونبن المع الما صرفة عدوه التعليم القير وسنة المداد بروقهة صريح (خراعيد سيع م) وعاتما وزاعة سه مدين براونمن نفاخه ولمهنا ويدعي سعيد فننا اوتذا فيب حيهامعلفد ع درالها سكند ومهامة سنتك منابها والزلدلك عيم سقيرابها وفت الخرب معلفة عي زنها ومامحم

وصية العالمة مامه بنت سليمان بباز (ت: 29 رمضان 1349هـ/ 18 فيفرى 31 19م)

تضم تحبيس دار وكتب وأدوات للتعليم

توظيف فكرة الوقف في تطوير المجتمعات الغربية:

يقول د/ محمد طاهر حكيم:

إن المنح والوقفيات هي المصدر الرئيس لتمويل أعرق الجامعات في العالم وتمويل مراكز البحث العلمي وإنشاء المدارس والمستشفيات، وتنظيم برامج للتوعية ومساعدة الفئات الأقل حظا...في الدول المتقدمة يفعلون ما كان يفعله أسلافنا في الماضي حين كان الوقف الخيري أحد محركات النهضة والتقدم العلمي والتعزيز المعرفي 1.

إن الأوروبيين قد تأثروا بمفهوم الوقف الإسلامي وتمثلوا به وفق ما يفرضه واقعهم، فاوجدوا نظام الترست"trust" على غرار الوقف الإسلامي، فشاع عندهم إيقاف المكتبات والمدارس ودور الرعاية الاجتهاعية²، وأُنشئت مؤسسات تعليمية عريقة وفق هذا النظام، حتى إن الكنيسة الكاثوليكية في إنجلترا لها أملاك واسعة وعقارات في أفضل المواقع ومؤسسات تعليمية وصحية وغيرها.

وقد بلغ عدد المؤسسات التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من 32 ألف مؤسسة قبل سنوات، وقُدّرت ممتلكاتها بها يزيد على 137 مليارا دولارا، وبلغ مجموع تبرعات الأفراد والمؤسسات في ذلك الوقت 115 مليونا دولارا.

هذه بضاعتنا وتراثنا وحضارتنا، ونحن أولى به ويجب أن نعتز به ونتمثل به ونتبناه ونعمل على تنميته وتلقينه لأبنائنا لتحقيق النهضة والانطلاق نحو البناء والتقدم والشهود الحضاري³.

تجارب معاصره لأوفاف ساهمت في نطوير النعليم واسنمراره

هناك بعض التجارب الناجحة في جامعات البلاد المتقدمة بالاعتهاد في حالات متعددة على فكرة الوقف. كما أن ثمة تجارب واعدة في عدد من البلدان الإسلامية مثل: تركيا وإيران وماليزيا.

وقد أورد د/ علاء الدين زعتري أمين الفتوى بوزارة الأوقاف السورية نهاذج من تجارب معاصرة ساهمت في تطوير التعليم، منها:

1/ تجربة لجنة مسلمي إفريقيا (جمعية العون المباشر):

وهي هيئة خيرية عاملة بإفريقيا، ولها تجربة غنية ورائدة في المشاريع التعليمية والثقافية، وأملاكُها وأموالها في جوهرها وحقيقتها هي عبارة عن أحباس. ومن أهم مجالات عملها:

بناء المساجد والمدارس القرآنية.

والتعليم: بناء وتسيير مدارس قروية (ابتدائي، متوسط، ثانوي).

ومصادر التمويل فيها: ثلاثة مصادر:

ـ تبرعات من أشخاص طبيعيين، وهم من عامة الشعب بمختلف فئاته.

ـ تبرعات من شخصيات اعتبارية، مؤسسات حكومية وأهلية..

ـ استثارات خاصة في بعض القطاعات الاقتصادية.

^{1 -} حدثني د/يس دادي عدون وهو خريج جامعة تورونتو بكندا ، أن الجامعة المذكورة ترتكز على أموال وقفية في نفقاتها.

^{2 -} يرى بعض الباحثين أن الوقف على المكتبات وخزائن الكتب في الحضارة الإسلامية هو أساس ما عرف لاحقًا في أوروبا بنظام الترست.Trust من تخصيص ميزانيات لرعاية خزائن الكتب وصانتها.

^{3 -} د/ محمد طاهر حكيم ، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي ، ص:782 ، ضمن القسم 2 من ج4 من أبحاث المؤتمر الثالث للأوقاف.

^{4 -} د/ علاء الدين زعتري ، دور الوقف في تطوير التعليم ، ص: 05.

وتفتح (جمعية العون المباشر) الأبواب لإقامة أوقاف متعددة الأُغراض والاختصاصات، على شكل أسهم تشبه أسهم الشركات، فيشترك كل واحد في الوقف الذي يريد، بسهم واحد أو بعدد من الأسهم كما يريد.

2/ تجربة الوقف الإسلامي في الدول الغربية:

تعرف أوساط المسلمين في البلدان الغربية حركة متنامية لحفظ دينهم وهويتهم وثقافتهم، والدفاع عن حقوقهم ومركزهم في هذه المجتمعات. وقد بدأت هذه الحركة على شكل مبادرات صغيرة محلية وفردية، ثم أخذت تتسع وتتلاقح، فصارت تنضج وتنتظم، ثم تطورت إلى هيئات ومؤسسات ومراكز متعددة الخدمات.

وقد وصل الأمر إلى حد إقامة مؤسسات جامعية، كما هو الشأن في إسبانيا وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

ونظراً لشدة الاحتياج إلى الدعم المالي أو التمويل الكامل لهذه الأنشطة والمؤسسات، واحتياجها على وجه التحديد إلى تمويل مستمر ومنتظم ومضمون، فقد كانت فكرة الوقف هي الملجأ والحل.

وهكذا بدأ المسلمون المغتربون يطرقون هذا الباب مستفيدين من تراثهم الديني والحضاري، مع تكييف مشاريعهم مع المقتضيات القانونية للبلدان التي يقيمون فيها.

ومن هذه المشاريع: (الوقف الإسلامي الأوروبي) المسجل في بريطانيا في إطار شركة خيرية ذات مسؤولية محدودة، وبعض المشروعات الوقفية سجلت في إطار شركات تضامن.

3/ الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية:

تم تأسيسه وتسجيله بصفة قانونية بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1971م، وفي غضون عقدين من تأسيسه، قام باستثمار الأموال الخاصة بالمساجد والمراكز والمدارس الإسلامية، كما قام بإنشاء عدد من المدارس الإسلامية، وساهم في تمويل الاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية.

4/ مؤسسة سار الخيرية:

هي مؤسسة للوقف الإسلامي مقرها بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها فروع ذات استقلال قانوني محلي بكل من زمبابوي، وساحل العاج، وكندا، وشيلي، ومصر، والمغرب، وتركيا، وماليزيا، وروسيا، إضافة إلى سار أنترناشيونال بواشنطن.

ومن أعمالها الخيرية:

- 1. إنشاء صندوق القروض والمنح الدراسية.
 - 2. دعم المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- 3. إنشاء عدد من المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية في عدد من الدول.

خانمه ونوصيك:

شهدت الأوقاف عبر مختلف العصور الإسلامية، نموّاً وتنوّعاً واتساعاً عظيهاً، وشاركت بنصيب وافر في بناء نهضة الأمة الإسلامية في مختلف المجالات، وكان من تمام شمولية الوقف عدم اقتصاره على الاهتهام بالأغراض التقليدية كرعاية دور العبادة من مساجد وزوايا وتسبيل المياه، بل شملت الأوقاف أيضاً أغراضاً تنموية مستحدثة اقتضتها ضرورات الاهتهام بأحوال المسلمين وتلبية احتياجاتهم.

ففي مجال التعليم تجاوز عدد المدارس التي أنشأتها الأوقاف المئات في القدس ودمشق وبغداد ونيسابور، وقامت جامعات معروفة عريقة منها: جامعة القرويين في فاس، وجامعة الأزهر في القاهرة، وغيرها الكثير في سائر الأمصار الإسلامية، يضاف إلى ذلك العديد من المكتبات العلمية العامة التي كان يحوى البعض منها مئات الآلاف من المجلدات العلمية.

وفي ختام هذه المداخلة نقترح التوصيات التالية:

- ترقية الإدراك بدور القوة الاقتصادية في حياة الأمة، وأنها من لوازم تقدم الأمة الإسلامية ونهضتها.
 - تنمية سجية الإنفاق في سبيل الله، وأنها فريضة شرعية وضرورة حضارية لنهضة الأمة.
- إشاعة ثقافة الوقف كوسيلة من صميم الفكر الإسلامي تعود بالنفع على الفرد والجماعة في الدنيا، وعلى صاحبها بالأجر الكبير في الآخرة.
 - زرع روح العطاء وفعل الخير لدى الناشئة في البيت والمدرسة والمنتديات.
- إبراز أهمية الوقف في الإسلام، ودوره الحضاري في ترقية الأمة خاصة في المجال التربوي، وذلك من خلال النهاذج الناجحة للوقف في التاريخ الإسلامي. وتوظيف ذلك في المناهج التربوية.
 - اقتراح مشاريع واضحة وسهلة المنال في دعم المشاريع الأهلية للتربية والتعليم عن طريقة صيغ وقفية.
 - تشجيع فكرة السهم الوقفي؛ لدعم المؤسسات الأهلية للتربية والتعليم.
 - البحث عن النهاذج المعاصرة للوقف التعليمي الناجحة، ودراستها لمحاكاتها وأخذ جوانب القوة منها.

المراجع المعتمدة:

- 1. بشير الحاج موسى، أوقافنا بين الواقع والمأمول، بحث مرقون.
- 2. سامي الصلاحات، دور الوقف في تفعيل التعليم العالي في الجامعات الإسلامية.
 - 3. علاء الدين زعتري، دور الوقف في تطوير التعليم.
 - 4. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي، دور الوقف في العملية التعليمية.
 - 5. محمد طاهر حكيم، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي.